

«الرسالة الواعظة»

في نفي دعوى ألوهية الحاكم بأمر الله
للداعي حجة العراقيين أحمد حميد الدين الكرمانى
المتوفى سنة ٤١٢ هـ

تحقيق: الدكتور محمد كامل حسين



مقدمة

وقع بين يدي نسخة خطية لمجموعة الرسائل التي عرفت في أدب الاسماعيلية باسم «رسائل الكرمانى»^(١) للداعي أحمد حميد الدين بن عبد الله ابن محمد الكرمانى الملقب في تاريخ الاسماعيلية بحجة^(٢) العراقيين. وتشتمل هذه النسخة على ثلاث عشرة رسالة، منها إحدى عشرة رسالة تنسب للكرمانى وهي :

- ١- الرسالة الدرية بمعنى التوحيد .
 - ٢- رسالة النظم في مقابلة العوالم بعضها بعضا .
 - ٣- الرسالة الرضية في جواب من يقول بقدّم الجوهر و حدوث الصورة .
 - ٤- الرسالة المضينة في الأمر و الأمر و المأمور
 - ٥- الرسالة اللازمة في صوم شهر رمضان وحينه .
 - ٦- رسالة الروضة في الأزل و الأزل و الأزلية .
 - ٧- الرسائل الزاهرة في جواب مسائل .
 - ٨- الرسالة الحاوية في الليل و النهار .
 - ٩- رسالة مياسم البشارات بالإمام الحاكم بأمر الله .
 - ١٠- الرسالة الواعظة في الرد على الأخرم الضرغاني
 - ١١- الرسالة الكافية في الرد على الهارونى الحسنى الزيدى
- هذه الرسائل التي تنسب إلى الكرمانى في هذه المجموعة، و أما الرسالة الثانية عشرة فهي في الرد على من ينكر العالم الروحانى للداعي شهريار ابن الحسن، و الرسالة الثالثة عشرة فهي خزائن الأدلة للداعي أبى يعقوب إسحق بن أحمد السجستانى (السجزي) .

(١) . IVANOW : A GUIDE TO ISAMAILI LITERATURE . P. 44 .

(٢) راجع ما كتبه عن الحجة في كتاب أدب مصر الفاطمية ص ١٩ و ما بعدها . وما جاء في كتاب راحة العقل الكرمانى ص ١٣٤ و ما بعدها (نشر محمد كامل حسين و محمد مصطفى حلمي) . و ما جاء في المجالس المؤيدية ج ١ ص ٢٢٢ (نسخة فتوغرافية بمكتبة جامعة فؤاد) .

وتقع هذه النسخة الخطية في ٣٩٠ صفحة، في كل صفحة ١٥ سطرا كتبت بخط بين الرقعة والنسخ، ورجعت على نسخة أخرى بدليل ما على الهوامش من تصحيحات. وقد جاء في ختام هذه النسخة: تم الكتاب بعون الله الملك الوهاب، إنه خير مسؤول و أكرم مأمول ليوم الحساب، و صلى الله على رسوله سيدنا محمد وآله عدد قطر السحاب، وقع الفراغ في يوم الثلاثاء الثاني من شهر ذي الحجة من سنة ١٣٠٣ هجري ثلاثة و ثلاثمائة بعد الألف من السنين من الهجرة النبي المختار صلى الله عليه وعلى آله المصطفين الأخيار، ما جن ليل وأضاء النهار، في عصر الداعي الأمين - حرسه الله - سيدنا و مولانا عبد الحسين حسام الدين، أطال الله بقاءه، و بلغنا به نهاية المأمول، بخط أقل مما ليكه، و أحقر غلماناه ابراهيم ولد الشيخ الفاضل غلام حسين، وفقه الله على طاعة مولاه العلي، بحرمة محمد و آله الهداة من نسل علي.

فالرسالة الواعظة التي أنشرها الآن، هي إحدى رسائل الكرمانى التي وردت في تلك المجموعة الخطية، وقد ذكرها الكرمانى في كتابه «راحة العقل» إذ قال: «ثم إنه تعالى ليس بجسم فيكون لنا طريق إلى الكلام عليه بما يليق بالأجسام و لا في جسم فيطرد الكلام عليه حسب ما يلزم في الأجسام»^(١) وبالرجوع إلى «الرسالة الواعظة» التي بين أيدينا الآن نجد هذه الآراء التي تحدث عنها في «راحة العقل». كما نرى في «الرسالة الواعظة» إشارة إلى رسالة «مباسم البشارات» ومعنى هذا أن صاحب كتاب العقل هو صاحب الرسالة الواعظة و رسالة مباسم البشارات، وهو أحمد حميد الدين ابن عبد الله بن محمد الكرمانى. لم يصلنا شيء عن حياته إلا أنه كان حجة العراقيين (أي فارس و العراق) في عهد الحاكم بأمر الله المتوفى سنة ٤١١ هجري و يخيل إلي أنه كان أكبر شخصية علمية إسماعيلية في عصره، فقد وصفه الداعي إدريس بقوله «هو أساس الدعوة الذي عليه عمادها، وهو علا ذكرها»^(٢) و نحن نعلم من تاريخ الدعوة الإسماعيلية أن علماء هذه الدعوة كانوا مختلفي الآراء، ينقص بعضهم بعضا، و يخطئ أحدهم الآخر، فمثلا وضع الداعي النخشي كتابه «المحصول»^(٣) في فلسفة المذهب، فجاء بعده أبو حاتم الرازي و ألف كتاب «الاصلاح» خالف فيه ما جاء بكتاب «المحصول» ثم جاء أبو يعقوب السجستاني و وضع «كتاب النصرة» يدحض فيه أقوال أبي حاتم الرازي و ينتصر للنخشي^(٤)، وما جاء به الكرمانى فحاول في رسالته «الرياض» أن يوفق بين آراء الشيخين أبي يعقوب السجستاني و أبي حاتم الرازي^(٥). ثم لا نكاد نجد خلافا يذكر في فلسفة المذهب بين علماء الدعوة بعد الكرمانى، و إن كنا نجد خلافا شديدا بينهم في المسائل التأويلية^(٦). فكل الدعاة على

(١) الكرمانى: راحة العقل ص ٤٣ طبعة مطبعة النيل بمصر.

(٢) إدريس عماد الدين: كتاب عيون الأخبار (نسخة خطية)

(٣) البغدادي: الفرق بين الفرق ص ٢٦٧ - ٢٧٧ (طبعة محمد بدر) . ناصري خسرو: كتاب خوان الخوان ص ١٣٣ - ١١٥ (طبعة

الدكتور يحيى الخشاب) . و نلاحظ أن البغدادي كنى النخشي بأبي عبد الله بينما كناه ناصري خسرو بأبي الحسن.

(٤) 120-115 studies in early persian ismailism p. ivanow:

(٥) 46. a guide to ismaili literature p. ivanow :

(٦) راجع ما كتبناه عن ذلك في: ديوان المؤيد في الدين داعي الدعاة ص ١١٧ (طبع كتاب دار المصري) و المجالس المستنصرية

(طبع دار الفكر العربي) و كتاب آداب مصر الفاطمية ص ٣٤

اتفاق في فلسفة الدعوة بعد الكرمانى، بل لا أغالى إذا قلت إنهم لم يأتوا بشيء جديد بعده، بل اكتفوا بشرح أقواله، أو الاقتباس منها للاستشهاد بها على صحة أقوالهم التي لم تخرج عن آرائه، و من هنا يتضح لنا قيمة مؤلفات الكرمانى ومركزه في الدعوة.

كان الكرمانى يقيم في العراق متنقلا بين البصرة و بغداد ، وفيهما كان يلقي مجالس الحكمة التأويلية. وله كتابان يعرف «بالمجالس البغدادية» والآخر يعرف «بالمجالس البصرية» جمع فيهما محاضراته التأويلية في البلدين^(١)، ومن الاتفاق أن يكون الكرمانى في العراق وينقل من حين إلى آخر إلى البصرة في نفس الوقت الذي كان فيه جماعة إخوان الصفاء في العراق وفي البصرة خاصة ، وأكثر الباحثين يذهبون إلى أن هذه جماعة الجماعة كانوا من الإسماعيلية^(٢) والكرمانى إذ ذاك كبير دعاة الإسماعيلية في العراق، فهل فهل نستطيع القول إن الكرمانى كان أحد جماعة إخوان الصفا ؟ هذا ما أذهب إلى القول به، ولا سيما بعد أن درسنا كتابه «راحة العقل» ورسائله التي ذكرتها آنفاً، فهي تتفق كلها مع آراء جماعة إخوان الصفا وهناك فقرات بأكملها في راحة العقل أسلوبها هي نفس الأسلوب الذي أجده في بعض رسائل إخوان الصفاء، وسنفضل ذلك كله في بحث مستقل، ونرجو مع تقدم الدراسات الإسماعيلية أن نوفق إلى معرفة جماعة إخوان الصفاء التي شغلت العلماء منذ وجودها إلى الآن .

ورب سائل يسأل: كيف تسنى للكرمانى أن يعقد مجالس الحكمة التأويلية في بغداد و البصرة وهو إسماعيلي المذهب وتابع للخلافة الفاطمية في مصر ومناوئ للعباسيين ؟ فجوابى على ذلك هو أن سياسة البويهيين كانت ترمي إلى الحرية المذهبية ، فلا عصبية مذهبية ولا إكراه في الدين ، هذه السياسة تراها واضحة جلية في رسائل وزيرهم الصاحب بن عباد^(٣)، فسياسة التسامح المذهبية ساعدت الكرمانى على هذا النشاط الذي أظهره في العراق، والذي كان نتيجة هذه المؤلفات العديدة التي تركها بالرغم من أنها كانت تخالف آراء و تعاليم السلطان العباسي المقيم في العراق إذ ذاك .

و نحن نعلم من كتاب الكرمانى و رسائله أنه وفد على مصر سنة ٤٠٨ هجري ، و يفهم من أقوال الداعي إدريس أن الإمام الحاكم بأمر الله الفاطمي أرسل إليه يستقدمه إلى مصر حينما ظهرت بدعة تالية الحاكم^(٤) وهال الكرمانى ما رآه في مصر من اضطراب الدعوة الإسماعيلية، ووصف ذلك في رسالته الموسومة برسالة «مباسم البشارات بالإمام الحاكم» فهو يقول :

«فأنى لما وردت الحضرة النبوية مهاجراً، و للسدة العلوية زائراً، و رأيت السماء قد أظلمت

(١) Ivan ow : a guide to ismaili literature p. 46

(٢) louis massignon : sur la date de la composition de rasail ikhwan al safa

Vol . 4, p 324. et t . j. de boer : Geach des philosophis im islam p. 76.89.

(٣) عبد الوهاب عزام و شوقي ضيف : رسائل الصاحب بن عباد ص ٩٣ ، ص ١٤٧ ، ص ١٨٣ ، ص ١٨٤ و غيرها .

(٤) عماد الدين إدريس : عيون الأخبار (محموط).

بسحاب عميم، و الناس تحت ابتلاء عظيم، و العهد في الرسوم السالفة قد نقض، و عن أولياء الدين بما كسبت أيديهم قد أعرض، و الرسم في عقد مجلس الحكمة جريا فيهم بالإحسان قد رفض، و العالي قد أتضع، و السافل منهم قد ارتفع. و شاهدت أولياء الدعوة الهادية - بسط الله أنوارها - و الناشئين في عصمة الإمامة و أولى ولائها قد حيرهم ما يطرأ عليهم من هذه الأحوال التي تشيب لها النواصي، و بهرهم ما تجدد لهم من الأسباب التي لا يهلك بها إلا أولوا النفاق و المعاصي، و هم يومئذ يموج بموج بعضهم في بعض، و يرمي كل منهم صاحبه بفسق و نقض، تتلاعب بهم الأفكار الردية، و تتداولهم الوسواس الردية، ثم لا يعلمون ما أظلم من الدخان المبين، و لا ما ألم بهم من الامتحان المستبين، فصار البعض منهم في الغلو مرتقين إلى ذراه، و البعض في النكص على أعقابهم تاركين عصمة الدين وعراه و القليل منهم قد تزعزع أركان اعتقادهم. و ما قبلوه من الدين باختيارهم، و هم على شفا انحلال و اختلال. و أعناق أولى الطرفين من الأبالة إلى اختلافهم ممتدة، و همها في اصطيادهم عن اعتقادهم محتدة.. الخ^(١). ففي هذا النص صورة صادقة لحالة الاضطراب الذي كان الإسماعيلية في مصر حين ظهر دعاة بدعة تآليه الحاكم بأمر الله، و لسننا في معرض الحديث عن تاريخ هذه الحركة، فقد أغنانا عن ذلك البحث القيم الذي وضعه المستشرق الكبير سلفستر دي ساسي^(٢) إذ لم تظهر بعد كتابه أبحاث لها قيمة بحثه، و إنما أريد أن لا أمر على هذا النص الذي ورد في تاريخ ابن البطريق إذ يقول: «و صار أصحاب الهادي (أي حمزة بن أحمد أحد مؤسسي بدعة التآليه) إذا لقوا أصحاب ختكين داعي الدعوة^(٣) لعن بعضهم بعضا، و يكفر كل فريق منهما الآخر^(٤)». فهذا النص يدل على أن دعاة الإسماعيلية و على رأسهم ختكين داعي الدعوة كانوا يكفرون أصحاب بدعة التآليه، و مع ذلك لم يستطيعوا صدهم عن غوايتهم أو معاقبتهم عقابا رادعا، إنما اكتفى الكرمانى و هو أحد شيوخ الدعوة الإسماعيلية بوعظ دعاة التآليه. و هو موقف يدعو الى الدهشة حقا. و يقول ابن البطريق أيضا: «إن الحاكم أمر الدرزي أن يحسن الناس بالرقاع، و يدعوهم به الى مذهبه، فكتب رقعة إلى متولى الغلمان الأتراك يستدعى مصيرهم إليه ليقفوا على الوحي الوارد إليه من الله، و كتب أيضا إلى ختكين داعي الدعوة. و إلى ولي عهد المسلمين و الموفق في الدين عميد المؤمنين، و إلى غيرهم، يدعوهم إلى مقاتلته فطاعوا الحاكم بما كاتبهم، و استخبروا منه رأيه فيما ذكره لهم. و إن كان عن أمره. فأظهر

(١) الكرمانى: رسالة مباسم البشارات (من مجموعة رسائل الكرمانى. مخطوط).

(٢) Silvestre de sacy : Expose de la religion des druzes

(٣) ختكين الداعي المعروف بالضيف كان صاحب دواة الملك عضد الدولة البويهى و لذلك كان يلقب بالعضىدى (ابن القلانسى:

ذيل تاريخ دمشق ص ٦٥) و عينه الحاكم بأمر الله و اليا على دمشق سنة ٣٩٢ هجري و عزل سنة ٣٩٤ هجري (نفس المصدر

ص ٥٧) و لكن ابن خلكان يقول إن ذلك كان سنة ٤٠٨ هجري (ابن خلكان : الوفيات ج ٢ ص ١٣٧) و ولد الحاكم مرتبة داعي

الدعوة ورد إليه أمر المجلس بأن بجري فيه التاريخ المجموع على تحقيق و التصديق ص ٢٠٩ .

(٤) سعيد من البطريق: ص ٢٢٤

الإنكار له لما رآه من إعظامهم له نفورهم منه»^(١). فهذا دليل آخر يثبت أن دعاة الإسماعيلية كانوا ينفرون من مقالة الدرزي وأصحابه ، وأن دعاة الإسماعيلية ووجوه رجال الدولة يدعوهم إلى مقالتهن. ومن سوء الحظ لم تصلنا هذه الرقاع ، ولكن من حسن الحظ في الوقت نفسه وصلتنا الرسالة «الواعظة» في الرد على هذه الرقاع ، ومناظرة أحد دعاة التأليه الحسن الفرغاني المعروف بالأخرم^(٢) الذي نبزه الكرمانى في هذه الرسالة بالأجدع إمعانا في تحقيره والسخرية به .

وفي هذه الرسالة «الواعظة» يدحض الكرمانى فكرة تأليه الحاكم ويفندها ، ويثبت عقيدة الإسماعيلية في الله الذي لا إله إلا هو ، تلك العقيدة التي تحدث عنها الكرمانى في كتبه الأخرى فقال : إنه تعالى واحد ولا شريك له ، وإن ليسيته محال^(٣) ، وهو سبحانه متعال عن الانقسام ، و برىء من أنحاء النقصان ، وإن تؤول بصفة أو قيل عليه شيء من الصفات فتلك الصفات هي مأخوذة مستعارة من الموجودات التي هي واقعة تحت الوجود المخترع^(٤) وأن من وصفه فقد كذب عليه بكون ما وصفه به صفة لغيره^(٥) ، وأنه لا مثل له إذ لو كان لكانا اثنين ، و لكانا من حيث كونهما اثنين يوجد في كل واحد منهما ما يباين به الآخر ، وبه تقع الاثنينية ، فيكون لكل واحد منهما جزآن بهما وجود ذاتيهما : أحدهما مشترك والآخر خاص ، فيجب بذلك ما يتقدم عليهما جميعا ، و يكون هو الذي أعطى كلا منهما ما اختص به وباين الآخر ، و هو بالألوهية أخرى ، وهو - تعالى من هو - من العلاء في ذروة لا يجوز أن يكون غير يسبقه و يتأول عليه فيكون هو دونه . فهو من نهاية المراتب في الجلال والعظمة والكبرياء والسناء والقدرة والبهاء على أمر يضيّق مجال العقول في الإحاطة به ، تعالى الله علوا كبيرا ، فالذي يكون بهذه المثابة فلا يكون بهذه ضد ولا مثل^(٦) وأنه لا يعرب عنه بلفظ قول . ولا بعقد ضمير ، و كيف يكون للحروف دلالة على الهوية ظهرت عنه المبدعات والمنبعثات والمكونات التي منها هي ، و هو تعالى من ورائها في ذروة العزة ، فلا تهتدي العقول إلى تناوله بصفة ، أم كيف يكون للعقول طريق إلى تصور فيه و هي لا تعقل إلا بما شملته سمة الجوهرية والعرضية^(٧) ويقول الكرمانى أيضا في كتاب الوضينة : وهو تعالى من حيث هو هو لا صفة له ، ولا نعت ، ولا حد ، ولا شبه ، ولا قرين ، كما ينعت به ما كان من عالمي الجسم والعقل ، وهويته هوية ليست بهوية يمكن أن يكون لغيره من مبدعاته فيها^(٨) والكل منسوب إليه بكون حدوثه بأمره^(٩) .

(١) ابن البطريق : ص ٢٢٢

(٢) رجل أخرم هو الذي قطعت ورة أنفه أو طرف أنفه . و الأخرم المتقوب الأذن أيضا .

(٣) الكرمانى : راحة العقل ص ٣٧

(٤) المرجع نفسه ص ٤٢

(٥) المرجع نفسه ص ٤٣

(٦) المرجع نفسه ص ٤٨

(٧) راحة العقل ص ٥٠

(٨) الكرمانى : الرسالة الوضينة ص ٢٤ ، ٢٣ (مخطوط) .

(٩) نفس المرجع ص ٢٥

و يروى عن الإسماعيلية أن عليا قال: وصفه تشبيهه ، و نعتة تمويه ، و الإشارة إليه تمثيل ، و السكوت عنه تعطيل ، و التوهم له تقدير ، و الأخبار عنه تحديد^(١).

فمثل هذه العبارات التي ذكرها الكرمانى ، وردد معناها جميع علماء الدعوة الإسماعيلية هي عماد التوحيد عندهم ، و هم ذلك يشتركون مع علماء المعتزلة في نفى الصفات و التنزيه . و لكن الإسماعيلية جعلوا أسماء الله الحسنى للمبدع الأول الذي سماه الإسماعيلية بالسابق بالقلم و الذي يعرف عند الفلاسفة بالعقل الكلى^(٢) و خلعوا على السابق جميع الصفات التي جعلها الفلاسفة للعقل الكلى متأثرين في ذلك بأراء الغنوسطية ، و هذا السابق الذي لهذه الصفات هو ممثل الإمام^(٣) ، و لذلك جعل الإسماعيلية هذه الصفات التي تصف بها السابق للأمام أيضا ، و منها أسماء الله الحسنى التي تفوها عن الله سبحانه و تعالى ، و لهذا نرى شعراء الإسماعيلية مدحوا الأئمة بأسماء الله الحسنى على عقيدتهم في تنزيه الله تعالى عن الصفات ، و أن الإمام في عصره مثل للسابق : مع اعترافهم بأن الإمام من البشر . و في ذلك يقول المؤيد في الدين «إن أولياء الله (الأئمة) من طينة الأرض معجونون ، و للكون و الفساد من حيث أجسامهم مضمونون ، يمسكهم الشراب و الطعام ، و تلحقهم الأمراض و الآلام ، و يقضي عليهم عند استيفاء أيامهم الحمام»^(٤) بل أرى المؤيد في الدين يعيب على الشيعة الاثنى عشرية قولهم باختفاء الإمام الثاني عشر محمد بن العسكري في السرداب ، و القول بأنه حي و سيعود ليملأ الدنيا عدلا كما ملئت جورا ، فهو يقول «إن من يتوقع طلوعه من السرداب ليس يخلو حاله من كونه بشر يأكل و يشرب ، فكانت الضرورة تؤدي إلى تصرم عمره منذ زمان ، و إن كان في غير أسلوب البشرية فما ينبغي أن يكون غير بشر ، و إذا كانت أيدي الحداث عنه مغلوطة فما الذي يقتضي لزوم السر و الكتمان»^(٥)؛

و معنى هذا كله أن الإسماعيلية لم يؤلّوها أنتمتهم . بيد أن بعض دعاة الإسماعيلية غلوا في الأئمة الفاطميين و نسبوا إليهم الألوهية طورا ، و معرفة الغيب طورا آخر ، وفيهم قال الكرمانى: إن أعظم الفرق ضلالا فرقة الغلاة ضلت و أضلت غيرها فانسلخت عن جملة أهل الدين و الديانة^(٦) و روى القاضى النعمان بن محمد المغربي عن المنصور بنصر الله الفاطمي «إنما أراد الدعاة إلى النار الذين انتسبوا إلينا ينحلونا إياه أنا نعلم الغيب ، و ماتخفي الصدور ، و أشباه

(١) علي بن الوليد: رسالة جلاء العقول (مخطوط).

(٢) المؤيد في الدين المجالس المؤيدية في مواضع متفرقة .

(٣) راجع كامل محمد حسين : نظرية المثل و الممثل (بحث قرئ بمؤتمر المستشرقين بباريس سنة ١٩٤٨ و طبع بمطبعة الفكرة بالقاهرة سنة ١٩٤٨).

(٤) المؤيد في الدين : المجالس المؤيدية ج ١ ص ٦١ (نسخة فتوغرافية بمكتبة جامعة فؤاد)

(٥) نفس المصدر ج ١ ص ٢٠٦

(٦) الكرمانى : تنبيه الهادى و المستهدي (مخطوط).

ذلك بما افتروه علينا ونسبوه إلينا أن يجعلوه عدة لنفاقهم»^(١)، و يقول المؤيد في الدين داعي الدعاة «استعذبوا بالله من قوم يقولون بأفواههم أنهم شيعة و هم من طلائع الكفر والإلحاد شر طليعة»^(٢) وهكذا نرى أئمة الفاطميين ودعاتهم يتبرأون من أمثال هذه المقالات التي يغلو أصحابها في الأئمة، و ما قصة تأليه الحاكم بأمر الله إلا من هذا القبيل، فقد دعا بها قوم من الغلاة، فعارضها دعاة الإسماعيلية، وثار بسببها أهل مصر، ومع هذا كله فأني أوافق على ما ذهب إليه المؤرخون من أن الحاكم كان يميل إلى ادعاء الإلهية، فالأحداث التي ذكرها المؤرخون من نقمة الحاكم على أهل الفسطاط و بعض الغلمان انتقام لمقتل الأخرم، والشدة التي كان يأخذ بها المصريين كلما ثاروا على هؤلاء الدعاة الغلاة، و مساعدته للدرزي في فراره إلى سوريا إلى غير ذلك من حوادث ذكرها المؤرخون، ثم ما جاء في هذه الرسالة الواعظة من اتهام صريح لأصحاب هذه البدعة بالضلال و الكفر و تركهم سادرين في ضلالتهم و كفرهم دون أن ينالهم و كفرهم دون أن ينالهم من الحاكم أذى، و هو الذي كان يقتل المخالفين و الأصحاب لأتفه الأسباب، كل هذا يجعلني أوافق المؤرخين على أن الحاكم كان بحمى هؤلاء الغلاة و يميل إلى تأليهه لنفسه غروراً وكبراً، دون أن يستمد عقيدة التأليه من عقائد الإسماعيلية على نحو ما وهم المؤرخون^(٣) و مهما يكن من شيء، فإننا نقدم الآن «الرسالة الواعظة» في الرد على الأخرم الحسن الفرعاني أحد الدعاة الغلاة الذين قالوا بألوهية الحاكم، كتبها أكبر عالم إسماعيلي هو أحمد حميد الدين بن عبد الله بن محمد الكرمانى المتوفى حوالي سنة ٤١٢ هجري.

«الرسالة الواعظة»^(٤)

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، و بطاعة أوليائه تعم البركات، و صلى الله على دوحة المكارم محمد سيد الأمم و فخر العرب و العجم و سلم على آله الطاهرين أعضاء الملة الحنفية و أعيان الحكم النبوية أمير المؤمنين الإمام الحاكم بأمر الله و آبائه الأئمة الطاهرين. أما بعد. فقد كانت رقعتك وصلت، أوضح الله لك منار الهدى، و عاد بك إلى الطريقة المثلى: ووقفت على ما ضمنها من مسائل التي تنطق عنك بالكفر والارتداد، و تشهد عليك بفساد الدين و الاعتقاد، فكانت في اختلال مبانيها و سقيم معانيها على حالة لا يصدر مثلها إلا

(١) القاضي نعمان بن محمد بن حيون: المجالس و المسابير ورقة ٨٦ (نسخة خطية).

(٢) المؤيد في الدين: المجالس المؤيدية ج ٢ ص ١٥١

(٣) راجع ما كتبه محمد عبد الله عنان في كتابه «الحاكم بأمر الله».

Silvestre de sacy: expose de la religion des druzes

(٤) ورد في المخطوط (الرسالة الواعظة تجمع موعظة أو أجوبة عن مسائل المارق في الدين حسن الفرعاني الأجدع. من كلامه (أي من كلام الكرمانى) أيضاً. قدس الله روحه و رزقنا شفاعته بمنه و كرمه) و إذا نظرنا إلى الرسائل التي تضمنها مجموعة رسائل الكرمانى هو (الرسالة الواعظة، تجمع موعظة و أجوبة عن مسائل المارق في الدين حسن الفرعاني الأجدع) أما باقي النص السابق فهو من وضع النساخ.

عن تمييز مختل ، و اعتقاد معتل ، فلم أر الإجابة عنها ، والنص على ما تضمنه من الكفر منها ، إلا بتليين القول و حسن التلطف ، و سلوك طريق الوعظ و التعطف ، إذ كانت المواعظ للأنفس العلية دواء ، و بذلك أمر الله تعالى سيد المرسلين و خاتم النبيين محمدا صلى الله عليه بقوله جل من قائل « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة و الموعظة الحسنة »^(١) أي ادع من كان من أهل الحكمة بالحكمة ، و من كان من ذوي الجهالة و الضلالة بالموعظة الحسنة ، ففعلت رجاء أن تنجع فيك فترعوى عن البدعة التي أنت فيها تتثنى ، و قلت لعل وعسى تتذكر فتخشي فتصبح بقبولها و قد جعلك ظاهر الإسلام و نورك باطن الإيمان ، فما زادتك العظة إلا في غيك استمرار ، و لا لين القول و التلطف بك إلا في ضلالك تماديا واستكبارا ، فظللت تواصل برقاعك تارة . وتراسل على لسان أتباعك أخرى ، تطلب أجوبة ما كتبته ، ظنا منك أنه حق متبع ، و إن الطريق إلى إبطاله ممتنع ، و إن الطريق إلى إبطاله ممتنع ، و أنا أعظك ثانية قبل تتبع ما كتبت ، و إظهار الكفر فيما أوردت ، جريا على رسم الدين مع مثلك ، فأقول :

إن الله تعالى بعظيم كبريائه لما كان محتجبا عن الرؤية فلا يكون لعباده إليه إلا الاستغفار و طلب الرضى والعضو عما يبدو منهم من الزلات و الهفوات ، جعل فيهم ، بفضلهم سبحانه و سعة رحمته ، منهم الرسل و الأوصياء^(٢) والأئمة الأبرار سلام الله عليهم جميعا سفراء بينهم و بينه تعالى ، يستغفرون لمن استغفر منهم ، فيعفو الله لهم و يتوب ، كما قال تعالى في كتابه المبين لنبيه محمد صلى الله عليه « و لو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا لله و استغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيمًا »^(٣) وأنه لما كان مقدرا أن لا يبقى النبي صلى الله عليه بين عبادة فيستغفر الله لهم إذا أذنبوا و يهديهم إلى الحق إذا ضلوا ، ويوصلهم إلى ما تعجز أنفسهم بذواتها عن الوصول إليه في عبادة الله تعالى و توحيده ، حفظ الله بعدله مكانه بالأئمة الطاهرين آباء أمير المؤمنين عليهم السلام في زمانهم ، و بأمير المؤمنين الإمام الحاكم بأمر الله عليه السلام في زماننا ، وبالمنتظرين بعده واحدا بعد واحد إلى الدين فيما بقي ، و خصهم بأن يكونوا سادين مسدد في جميع ما كان يتعلق به صلى الله عليه من أمر الله تعالى و أمر عباده لئلا يختص معه قوم من عباد الله تعالى في الفضل^(٤) بكون النبي صلى الله عليه سببا بينهم لنجاتهم ، و هاديا

(١) سورة النمل ١٦/١٣٤

(٢) الأوصياء جمع وصي . اعتقد الفاطميون أن لكل نبي وصيا . يوصي إليه النبي بامر أمته من بعدد بامر من الله تعالى فكان وصي آدم شيث ووصي نوح ابنه سام ووصي إبراهيم ابنه إسماعيل ووصي موسى أخاه هارون . ووصي المسيح شمعون الصفا (سمعان بن يونا) الذي سماه المسيح صفا بمعنى بطرس . الإصحاح الأول ٤٢ من إنجيل يوحنا) ووصي محمد ابن عمه علي بن أبي طالب (راجع رسالة البيان مخطوط بمدرسة اللغات الشرقية بلندن رقم ٢٥٧٤٠ ، و المجالس المؤيدية ج ١ ص ٥ و سرائر النطقاء ص ٣٩ و أسرار النطقاء ص ١٣٠ و الفترات و القرانات ص ٥٤ و ما بعدها) . و كلها نسخ خطية بمكتبتي الخاصة .

(٣) سورة النساء ٤/٦٤

(٤) قال المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي في مجالسه (ولاية الرسول كالمرکز الذي تدور عليه دائرة القرائض فلا يصبح وجودها إلا بوجوده ، و إذا كانت هذه نسبة من يوليه امر دينه مثلها . و كمثل ذلك نسبة من يليه و من يلي من يليه ما انتقلت الولاية من واحد إلى واحد وورثها ولد عن والده انظر : كتاب جامع الحفائج ج ١ ص ٥ . نسخة فتوغرافية بمكتبة جامعة فؤاد) .

إلى إصلاحهم . و مستغفر لهم دون غيرهم، مع استواء الأقدام في وجوب الطاعة و العبادة على الجماعة، و كون الرسول صلى الله عليه رسولا الى الكافة، الكائن في الوجود منهم و من يجئ إلى الكون إلى يوم القيامة، عدلا منه و فضلا و رحمة، و أن باب الله تعالى بمكان أمير المؤمنين سلام الله عليه للتائب مفتوح، و عضو الله تعالى و عضو أمير المؤمنين عليه السلام لمن طلب ممنوح، وما بواجب مع القدرة الممنوحة و الاستطاعة الموهوبة و المفارقة المقدورة، وكون المرجع إلى الثواب و إما إلى العقاب . و صدق الوعد في الوقوف بين الله تعالى للمواقفة و الحساب «يوم لا تملك نفس لنفس شيئا و الأمر يومئذ لله»^(١) أن ينزى المرء في عبادة الرب و توحيده ، و تصديق الرسول و تفضيله . و اتباع الإمام و توقيره ، فتقبه الندامة «يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا ، و ما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا»^(٢) حين يرى ميزان حسناته قد خف ، وريقه من خوف العذاب قد جف . وهو تحت قدرة الجبار ، و يقال له و لأمثاله : «لا مرحبا بهم إنهم صالوا النار»^(٣) فيقول وقد آيقن من العذاب: بأن لا مناص و من سوء العقاب لا خلاص «لو أن لى كرة فأكون من المحسنين»^(٤) يتمنى الشفاعة و أنى له ذلك و قد فرط و قصر و عصى و استكبر و طغى و بغى و تولى و اتبع الهوى «فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل قد خسروا أنفسهم و ضل عنهم ما كانوا يفترون»^(٥) . بل يجتهد و الله تعالى يوحد . الرسول صلى الله عليه يصدق . و الوصي يقدم، و الإمام الهادي سلام الله عليه يتبع ، و العمل الصالح يعمل . و اليوم الآخر يؤمن . و بالحرش و النشرو الجنة و النار يوقن . فيلقاه جهده يوم حشره أكرم معين، فيسعد مع الأئمة و الأوصياء و الأنبياء في جوار رب العالمين . فان قبلت ، و عن أباطيلك رجعت . فقد حماك جمال الإسلام . و تولاك عز الإمام، و حصلت من أهل الإيمان . و إن أبيت . و عن الاتعاظ امتنعت، إصرارا على ضلالتك التي أنت فيها تضل عباد الله و تمنعهم عن عبادة الله، و تنقص مراتب حدود الله تعالى و تزيد «و لا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون»^(٦) و لا عما يفعل المذبذبون فانه يقول جل من قائل «و ذرنى المكذبين أولى النعمة و مهلهم قليلا ، إن لدينا أنكالا و جحيما . و طعاما ذا غصة و عذابا أليما»^(٧) . و ان طالبا يطلب خراب المساجد و سد ابواب العبادة . و إبطال الوسائط في نيل السعادة لطالب ممتنع لا يثمر له إلا الخذلان و سخط الرحمن، و نعوذ بالله من ذلك . و من ضلالة بعد الإيمان . ثم ابتدئ في جواب كلامك و سؤالك و اظهار كفرك و ضلالك . . فأقول :

(١) سورة الانشطار ٨٢/١٩

(٢) سورة آل عمران ٣٠/٣

(٣) سورة ص ٣٨/٥٩

(٤) سورة الزمر ٣٩/٥٨

(٥) سورة الاعراف ٧/٥٣

(٦) سورة إبراهيم ١٤/٤٢

(٧) سورة المزمل ٧٣/١١ ، ١٢ ، ١٣

إنني وجدت رقعتك أولاً خرساء عمياء جذماء بترءاء بإسقاطك منها اسم الله ربك رب العالمين ، وإلهك إله الأولين والآخرين ، وخالق السموات والأرضيين الذي ألف تركيبك في ظلمة الأحشاء ، وصورك وأخرجك إلى ساحة الهواء ، ورزقك وأنعم عليك ومن الأنعام ميزك. الذي سجدت له الجباه وله شهدت الشفاه بأنه الرب الإله ، «وإذا مسكم الضر في البحر ضل ما تدعون إلا إياه»^(١) و اسم خير من عبد ووعظ ووحده وبلغ الرسالة وأندر ، وأدى الأمانة وحذر ، محمد المصطفى صلى الله عليه ، والإقرار به والصلاة عليه ، والذي اختاره الله تعالى من بين عباده ، وإقامة الدعاء إلى توحيدده ، فتوجه بمكارم الأخلاق النفسانية ، وخصه بمجامع الأنوار القدسانية ، وبعثه والأصنام معبودة في حرمه فهشمها ، والأوثان في بيته منصوبة فكسرها ، فأصبحت به كلمة الحق متعالية ، وكلمة الشرك والضلال واهية هಾಯية . وأمر الله تعالى بالصلاة عليه في كتابه الكريم حيث يقول جل من قائل «إن الله و ملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً»^(٢) .

واسم الوصي والأئمة الطاهرين وأمير المؤمنين سلام الله عليهم أعمدة الحق وأعضاده ، وشموس الدين وأطواره ، الذين هدم الله بهم أركان الضلال ، وبين بمكانهم الحرام من الحلال ، ولا يقبل الله عملاً من أعمال العباد إلا بولايتهم^(٣) ولا صلاة من الصلوات إلا بالصلاة عليهم ، الذين بدت بهم مباسم الدين وقد أشرقت مطالعها ، ومراسم العبادة القويمة وقد سلكت مشارعها . ولا تخلو أن تكون في تظاهرك بولاء أمير المؤمنين عليه السلام إما متبعاً له ، أو غير متبع . فإن كنت متبعاً فبمخالفتك إياه سلام الله عليه ، فيما أمرك به في السجلات المكرمة من السلام عليه وعلى آبائه الطاهرين في جميع المكاتبات ، وقعودك عن الاقتداء فيما يفعلها سلام الله عليه من تصدير سجلاته وجميع مكاتباته وخطبه بسم الله الرحمن الرحيم ، والاستفتاح به والصلاة على سيد المرسلين وخاتم النبيين محمد والتبرك بها ، قد كفرت . وإن كنت غير مشبع فقعودك عن إتباعه عصيان ، والعاصي فيه ضال كافر ، ففي كلا الوجهين ماتنكف من الضلال والكفر^(٤) . وإما قولك : فمن عرف منكم إمام زمانه حياً فهو أفضل ممن مضى من الأمم من نبي أو وصي أو إمام .

(١) سورة الاسراء ١٧/٦٧

(٢) الأحزاب ٢٣/٥٦

(٣) قال جعفر بن منصور اليماني في كتابه سرائر النطقاء (لا دين إلا بطاعة علي وولايته ولا نعمة تامة إلا مودته ومحبة . ولا قبل للأئمة فرض ولا سنة ولا عمل مفترض إلا بطاعة زوج البتول ومولاته ومحبة والأئمة من ولده يرثون مقامه وفضله . على هامش جامع الحقائق ج ٢ ص ٢٨ نسخة فتوغرافية بمكتبة جامعة فؤاد) .

وقال القاضي النعمان إن جعفر الصادق قال «بنا بعد الله وبنا يطاع الله وبنا يعصي الله . فمن أطاعنا فقد أطاع الله (دعائم الإسلام ص ٣٩ نسخة خطية بمكتبتي)» .

(٤) يروي الشيعة أن جعفر الصادق قال : الجاهلية جاهليتان : جاهلية كفر وجاهلية ضلال فجاهلية الكفر ما كان قبل مبعث النبي . وجاهلية الضلال ما يكون بعد مبعثه فيمن ضل عن إمام زمانه (جامع الحقائق ج ١ ص ١٥١ نسخة فتوغرافية بمكتبة جامعة فؤاد) .

فقول زور و كفر ، كيف يكون أفضل من نبي أو وصي أو إمام من كان ما يحسنه من دينه من فضلهم و علمهم ، أم كيف يكون أفضل منهم من هو تحت حكمهم و أمرهم ، و هو محتاج إليه و متبع لهم ، و لا تخلو أن تكون من علمك ذلك ، و إما أنك استفدته من بشر جسماني مثلك ، أو أنك استفدته من ملك روحاني ، فإن كنت استفدته من بشر جسماني مثلك فهو أفضل منك ، إذ هو العلة في معرفة ما عرفته ، و العلة أبدا متقدمة الرتبة على ما بها كان وجوده ، ثم إن الذي أفاد من أفادك أفضل منه أيضا كذلك إلى أن ينتهي إلى نبي أو وصي أو إمام ، فيكون هو أفضل من غيره ، و قد انتقض قولك ذلك و ظهر كفرك ، و إن كنت استفدته من ملك روحاني ، فلا يستفيد من الملك الروحاني و حيا - على ما ينقسم إليه بحسب المراتب - .

إلا نبي أو وصي أو إمام ؟ و بطل أن تكون إماما بكون الإمامة لغيرك و بطل أن تكون وصيا إذ لا يكون وصيا من لا يكون إماما ، و بطل أيضا أن تكون نبيا إذ لا يكون إماما ، و بطل أيضا أن تكون نبيا إذ لا يكون نبيا من لا يملك هذه المراتب ، فلا إمام أنت أو وصي و لا نبي ، و إذا لم تكن إماما و لا وصيا و لا نبيا بطل كونك مستفيدا من الملك ، و إذا بطل ذلك فقولك كفرو ضلال .

ثم إيجابك أن من عرف الإمام فهو أفضل ممن مضى من نبي أو وصي أو إمام هو الإيجاب أن من عرف الإمام فهو أفضل من الإمام ، و ذلك من القوانين في الاعتقادات أن الإمامة و الوصاية و النبوة رتب الله تعالى التي بها يستحق الممنون عليه أن يكون إماما أو ووصيا و نبيا ، و إن هذه المنة ليست إذا من الله تعالى بها على نفس طاهرة تزول عنها بمفارقتها شخصها ، فلا تستحق أن يقال إنها ممنونة بها عليها ، بل هي لها في ذاتها تمامية لجوهرها فلا تفارقها ، و إذا كانت الإمامة و الوصاية و النبوة رتبها لمنة الله تعالى بها ، و الممنون بها عليه تستحق أن يكون إماما و ووصيا و نبيا لا غير ، و إذا كان قولنا نبي و وصي و إمام أسماء لمن من الله تعالى عليه بالإمامة و الوصاية و النبوة ، كان قولك هو أفضل من نبي أو وصي أو إمام هو قول بأنه أفضل ممن من الله تعالى عليه بالإمامة و الوصاية و النبوة ، و إذا كان قولك هو القول بأن من عرف الإمام حيا هو أفضل ممن من الله تعالى عليه الإمامة و الوصاية و النبوة ، و كان الإمام الذي عرفه ممن من الله تعالى عليه الإمامة ، و كان الإيجاب أنه أفضل منه ، و ذلك كفر نعوذ بالله من الكفر .

ثم نقول : إذا ثبت أن بالمنة و الاصطفاء يصير الإمام إماما ، و كان من قولك أن من عرف الإمام حيا فهو أفضل ممن مضى من نبي أو وصي أو إمام ، و لم يكن من مضى من نبي أو وصي أو إمام نبيا أو وصيا و إماما إلا بالمنة و الاصطفاء الذي به كان الإمام الذي عرف إماما لا غير ، كان منه الإيجاب أنه أفضل من الإمام الذي عرفه ، يكون العلة في إمامة من مضى و إمامة من عرف حيا - و إن كان كل من الأئمة يختص في ذاته و أحواله بما لا يختص به الآخر - علة واحدة ، و وقوع العلم بأن أشياء عشرة إذا كانت مشتركة في علة واحدة و معنى واحد ، و كان شيء آخر غيرها خيرا من شيء واحد من تلك الأشياء العشرة أو شيئين أو أكثر في المعنى الذي اشتركت فيه

جميعها فهو خير من سائرهما وأفضل ، وإذا كان قولك موجبا على الوجود التي ذكرتها ، كون من عرف الإمام حيا خيرا منه وأفضل فقد ظهر كضرك وزندقتك نعوذ بالله من الكفر والزندقة .
و أما قولك : إن من عبد الله من جميع المخلوقين فعبادته لشخص لا روح فيه ، واستدلالك على ذلك بأن الله اسم ، والألف منه شبيه بالطول ، واللام منه شبيه بالعرض ، والهاء شبيه بالعمق ، فيكون طويلا عريضا عميقا وأن الله تعالى اسم وهذه صفته والمعنى هو الشخص .
فما أضعفه من استنباط وأدلة على اختلاط قائم ، وإذا أوجبت الطول والعرض والعمق للألف واللام والهاء ، بكون الألف شبيها بالطول ، واللام شبيها بالعرض ، والهاء شبيه بالعمق كما زعمت ، فالذي يكون طويلا عريضا عميقا جملة الاسم الجامع للألف واللام والهاء الشبهة بالطول والعرض والعمق لا المسمى ، فلو كان الطول والعرض والعمق من المسمى لأجل اسمه - بكونه جامعا للألف واللام والهاء الشبهة بالطول والعرض والعمق - للزم أن يكون ما لا يجمع اسمه الألف واللام والهاء طويلا ولا عريضا ولا عميقا ، وبوجودنا أن الأمر بخلاف ذلك ، يكون اسم الطويل والعريض العميق الذي هو جسم خاليا من الألف واللام والهاء ، وله الطول والعرض والعمق ذاته ، صح وثبت أنك سلكت في الاستنباط طريق الضلال ، فإن الطول والعرض والعمق للموجودات من الأجسام لا لأجل أساميها ، فتخلو منه إذا لم يكن الاسم جامعا للألف واللام والهاء ، بل من ذواتها على ما خلقها عليه خالقها جل وتعالى . وكيف يكون الله تعالى وتكبر شخصا ، والشخص جسم والجسم غير منفك من الحوادث ، وهو من قبيل ما يقبل أثر غيره .

كما نراه عيانا من تغاير أحواله واستحالاته ، وما يكون متغيرا ومستحيلا وقابلا لأثر غيره فهو محدث ، وما يكون محدثا ، فله محدث أحدثه .

ومما يدل على أن الله تعالى ليس بجسم^(١) أنه لما كان ذات الجسم ليست إلا مادة وصورة ، وكان إحداها حاملة والآخرى محمولة ، وكان اختصاص كل من المادة والصورة بما اختصاص به من كون المادة حاملة للصورة وكون الصورة محمولة في المادة بامتناع وجود الاختصاص إلا عن وجود المخصص الفاعل يوجب ما يتقدم عليهما مما عنه كان وجودهما على ما اختصاصه به ، وكان الله تعالى لا يتقدم عليه ما يصير به مسبوقا ومخلوقا ومبدعا ، بعد أن كان هو مبدعا وخالقا وسابقا ، كان من ذلك العلم بأن الله تعالى ليس بجسم ، إذ لو كان جسما لوجب بما قلنا وجرى ما يتقدم عليه ، وإذا كان الله تعالى ليس بجسم ، فأقول ولا في جسم

(١) قال الكرماني في الشرع الثالث من السور الثاني من كتاب راحة العقل ، ثم إنه تعالى ليس بجسم فيكون لنا طريق إلى الكلام عليه بما يليق بالأجسام . ولا في جسم فيطرد الكلام عليه حسب ما يلزم في الأجسام لما يوجب الدليل . على ما بيناه في رسالتنا المعروفة (بالواعظة) من وجوب ما يتقدم عليه أن لو كان جسما أو جسم (راحة العقل ص ٤٣ : نشر محمد كامل حسين و محمد مصطفى حلمي) . والأسماء عينية يتفون الصفات عن الله تعالى ويجعلون هذه المقالة أصل التوحيد عندهم . فمن الطبيعي إذن أن يقولوا إن الله ليس بجسم ولا في جسم .

أيضا ، تعالى الله و تكبر ، و ذلك أن الله تعالى لو كان في الجسم و جاز كونه فيه لكان لا يخلو أن يكون في كونه فيه إما مناسبا له أو غير مناسب ، فان كان في كونه فيه تعالى الله عن ذلك غير مناسب له ، فهو في كونه فيه محتاج إلى حافظ هو غيرهما يحفظ وجوده ووجود ما هو فيه معا ، إذ من شأن ما لا يكون مناسبا لغيره أن ينافره ، و لا يوجد معه إلا برابط يحفظهما جمعيا هو غيرهما ، و محال أن يكون وجود الله تعالى بغير يحفظه ، و إذا كان محالا وجود الله تعالى بغير يحفظه بطل وجوده في الجسم . إذ الشرط في وجوده في الجسم ، إذ مع كونه غير مناسب له أن يكون مناسب له أن يكون محتاجا إلى غير يحفظ وجوده ، و قد استحال وجود غير يحفظ وجوده ، واذ بطل وجوده في الجسم فهو غير مناسب له لا يجوز كونه فيه ، فالله تعالى ليس بجسم . ولا في جسم .

و إن كان في كونه فيه تعالى الله و تكبر عن ذلك مناسبا له فلا يخلو أن تكون مناسبتة : إما من جهة الصورة ، أو المادة ، أو كليهما ، فان كان مناسبا لكليهما ، فهو جسم ، وقد بطل أن يكون تعالى جسما بما قدما ذكره . و إذا بطل أن يكون مناسبا لكليهما ، وإن كان مناسبا من جهة الصورة فلا يخلو أن يكون مناسبا في كل الوجوه ، أو مناسبا لها في بعض الوجوه ، فان كان مناسبا لها في بعض الوجوه ، ففي مبانة كل منهما صاحبه بما لا يتناسبا فيه اختصاص كل منهما بما اختص به ، وفي اختصاص كل منهما بما اختص به وجوب وجود ما يتقدم عليهما مما عنه كان اختصاصهما ، و محال وجود ما يتقدم على الله سبحانه . و إذا كان محالا وجوب وجود ما يتقدم على الله سبحانه بطل أن يكون له اختصاص ، وإذا بطل أن يكون له اختصاص بطل كونه مناسبا لها من بعض الوجوه ، وإذا كان الله تعالى عن ذلك مناسبا لها في كل الوجوه فهو فهي . و اختصاصها بأن تكون محمولة دون أن تكون حاملة يوجب مخصصا لها يتقدم عليها . وإلا لم تكن الصورة مع عدم المخصص بأن تكون محمولة أولى من أن تكون حاملة . و لا المادة بأن تكون حاملة أولى من أن تكون محمولة ، و لا يمتنع أن يكونا شيئا واحدا بلا اختصاص يوجد فيهما . و محال وجود مخصص فاعل موجود غير الله بطل أن يكون له اختصاص . وإذا كان محالا وجود مخصص فاعل موجود غير الله بطل أن يكون له اختصاص . وإذا بطل أن يكون له اختصاص أن يكون الله تعالى هو الصورة .

و كذلك الكلام على المادة تقسيما حتى يبطل أن يكون الله تعالى هو المادة .

و إذا كان الله تعالى عن ذلك في كونه في الجسم مناسبا له ، لم يخل أن تكون مناسبتها : إما من جهة صورة أو المادة أو كليهما .

و بطلت الوجوه الثلاثة بطل أن يكون مناسبا له استحال وجوده فيه تعالى و تكبر ، و لما كان الله تعالى لو كان في الجسم و جاز كونه فيه ، و لا يخلو أن يكون كونه فيه مناسبا له أو غير مناسب . و بطل أن يكون مناسبا أو غير مناسب بوجوب وجود ما يتقدم عليه و يحفظ وجوده أن لو كان مناسبا أو غير مناسب ثبت أنه لا في جسم و تعالى الله و تكبر . و إذا كان الكلام قد أسفر

عن الأمر في أن الله تعالى ليس بجسم ولا في جسم وهو متقدس عن صفات الجسم على كونه تعالى متقدسا أيضا عما يدرك بالعقول والإفهام^(١) فقد ظهر أن العبادة ليست لشخص، وإن المعبود ليس بشخص، وظهر كفرك وإلحادك نعوذ بالله من الكفر والإلحاد.

و أما سؤالك عن الآية «عينا فيها تسمى سلسبيل»^(٢)، فلا تخلو من حالين: إما أنك من أهل القبلية المرضية، ومن جملة العابدين لله جل اسمه بالمللة الحنفية، أو خارج عنهما. فإن كنت منها فتركك تسمية الله تعالى في رقعتك والإقرار بالرسول صلى الله عليه والصلاة والسلام على أمير المؤمنين وإبائه الأئمة الطاهرين الهادين إلى توحيد الله جل ذكره خروج منها ومفارقة لها، ومن كان ذلك صورته في مضاهاة الزنادقة والمعتلة في الكفر بالله وبالرسول لا يطلع على سر الله تعالى ومعاني كلامه، ولا على سر الرسول ولا على سر الأئمة إلا بعد الإقرار وأخذ العهد. وإن كنت خارجا عنها فلا معنى لسؤالك عن الآية وأنت بمن أتى بها كافر وله جاحد حتى تقربه. ولا بواجب مخاطبتك عليها، كما أن يهوديا لو سأل عن إمامة علي بن أبي طالب صلوات الله عليه والدلالة عليها لما كان بواجب مخاطبته على ذلك وهو منكر لمحمد صلى الله عليه وعلى آله حتى يقر بنبوته، ومتى تبت عن مقاتلتك وحسن إسلامك وإيمانك وأردت معرفة التوحيد، ووجوب الرسالة والإمامة، ومعرفة أقسام العبادة التي هي العلم والعمل وأنواعها، والجزاء والثواب والعقاب، وأن دارهما غير العالم الطبيعي، وغير ذلك مما يشرحه التنزيل والتأويل، أخذت حظك من العلم باستحقاقك، فما شيء من العلم باستحقاقك، فما شيء من العلوم الدينية إلا وعند أو لياء الله وعند تابعيهم^(٣) على الخصوص بحسب استمادهم منهم خزائنه، وما يعلمون أحدا إلا بقدر عند الاستحقاق، اقتداء بالله تعالى فيما قال «وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم»^(٤).

و أما قولك مخاطبا لأهل الدعوة الشريفة: قد قامت قيامتكم وانقضى دور ستركم.

(١) يقول المؤيد في الدين: العقل لا يدرك إلا المدركات العقلية التي هو متجمهر بجوهرها، وأن مبدعه متعال عن أن يكون مدركا كالأواحد منها (جامع الحقائق ج ٢ ص ٢٨).

و يقول في ديوانه (القصيدة الثانية): راجع ديوان المؤيد في الدين داعي الدعاة نشر محمد كامل حسين (:

وليس من جنس العقول الله يا قوم كي تدركه ما شاء
كما تعالى أن يكون كالصور مجما كيما يلاقيه البصر

(٢) سورة الإنسان ١٨/٧٦

(٣) روي الفاطميون أن النبي (ص) قال: تعلموا من عالم أهل بيتي أو ممن تعلم من عالم أهل بيتي تنجوا من النار (السيرة المؤيدية ص ٤) وقال المؤيد كلمته (في القصيدة ٥٥):

العلم قوم به خصوا أقامهم رب الوري للوري في أرضه علما

وهذا الرأي الذي دانوا به جعلهم يقولون بالستر، فهم يسترون علو مهم إلا على بعض الخاصة.

(٤) سورة الحجر ٢١/١٥

فالكلام الذي يتعري من البرهان هو ضرب من الهذيان ، فكيف قامت القيامة و لها أشراف و علامات بينها سيد الأنبياء و رسول رب العالمين محمد شمس الأنوار مفخر الأئمة الأبرار صلوات الله عليهم أجمعين إلى يوم الدين ، و لم يظهر شيء منها ، أما كيف انقضى الدور و معاهد التنزيل و الشريعة محفوظة و بعين شيء منها ، أم كيف انقضى الدور و معاهد التنزيل و الشريعة محفوظة و بعين البقاء إلى يوم الدين ملحوظة ، و أصدق القائلين جل و عز يقول : «إنا نحن نزلنا الذكر و إنا له لحافظون»^(١) أم كيف انقضى و لم يتم حدوده و لا استتم موعوده ، و علامة تمام كل شيء من الموجودات في عالم الكون و الفساد و استكمال صورته بالفعل بحسبما يكون عليه الموجود القائم بالفعل أولا ، ولو علمت أنك من الدور في أي نسبة لأقصرت عن هذيالك ، لكنك بإتباع رأيك خيلت إليك نفسك الأمارة بالسوء ما خيلت من الضلال و سوء المقال ، و هيهات ثم هيهات «وذلك ينادون من مكان بعيد»^(٢) أين أنت مما أومأنا إليه في رسالتنا المعروفة بمباسم البشارات^(٣) عما يقضيه الله تعالى لمحمد رسوله صلى الله عليه بوليه في أرضه أمير المؤمنين الإمام الحاكم بأمر الله سلام الله عليه من بسط شريعته و تأييده أحكامه و سنته في المسلمين كافة ، و يجده من بعده فيمن يقوم مقامه سلام الله عليه و يسر الله من الفتوح و البشارات^(٤) أم أين أنت من الإمام الثامن عشر وأفعاله في دور النبي صلى الله عليه ، و أفعال الحادي والعشرين و الخامس والعشرين و الثامن والعشرين و الثاني والثلاثين و الخامس والثلاثين سلام الله عليهم ، بل أين أنت من الإمام التاسع والخمسين و عجيب أفعاله سلام الله عليه في هذا العالم باستعلاء كلمته على كل كلمة

(١) سورة الحجر ٩/١٦

(٢) سورة فصلت ٤٤/٤١

(٣) «رسالة مباسم البشارات» هي إحدى الرسائل التي تضمها مجموعة الرسائل الكرمانية ، و اسم الرسالة بالكامل ، كما ورد في النسخة الخطية التي امتلكها . مباسم البشارات بالإمام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين - و أول الرسالة - بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب الأرباب . و مآلث يوم الحساب . الذي جعل السماء سقفا محفوظا . وما بينها و بين الأرض بعين الضياء ملحوظا .. الخ . و قد ذكر الكرمانى أنه كتب هذه الرسالة في مصر بعد أن وفد عليها ، وهي تشتمل على أربعة عشر فصلا يحدث فيها عن بيان إمامة الحاكم بأمر الله صدقها ، و البشارات الواردة من الأنبياء عليهم السلام و إشاراتهم بحقها . و ما ينجز الله تعالى له من وعده . و الكلام عن الأسباب العارضة التي طرأت في عهد الحاكم . و رأى الكرمانى فيها أنها ليست إلا ما يريد الله تعالى من تصديق قول الأنبياء و ما هو إلا أمارات تقوم جاء مقام النص بأن الحاكم ولى الحق . و يستشهد الكرمانى في رسالته هذه ببعض آيات من التوراة باللغة العبرية كتبها بالحروف العبرية ، ثم ترجمها إلى اللغة العربية . مما يدل على أن الكرمانى كان واسع الثقافة ملما بأكثر من لغة .

(٤) النص الذي يشير إليه الكرمانى هو ما ورد في رسالة مباسم البشارات «إن أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله عليه في كونه إماما في وقته و قائما في زمانه و قائدا لأهله و شفيعا للمتعلقين بحبله . و إن لم يكن سابعا من الأسابيع فله من القوة و التأييد الممتد إليه من جهة الله تعالى بموازاته للأعداد التي من شأنها إفادة التمامية و مناسبة إياها ما يخدمه بأذن الله تعالى الفلك بأجرامه و الزمان بشهوره و أعوامه فينجز الله تعالى به وعده لمحمد جده صلى الله عليه بقوله تعالى : يوم نطوي السماء كطي السجل الكتب ، كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين» (٢١ / سورة الأنبياء / الآية ١٠٤) أي نطوي ذكر الإمام الضال و دولته كما طوى الغاصب الظالم ذكر أنمة الهدى و نعيد الأمر في كونه كليا في بيت محمد (ص) كما كان بديا فيملك المسلمين بأسرهم كما ملكهم النبي (صلمع) في زمانه و يفتح الله له من الفتوح ما يتعسى به جد إبليس وأهله ويستأصل شافة الضلال وأصله» (ورقة ١٠٤ من مجموع رسائل الكرمانى).

تخالف ماجاء به النبي صلى الله عليه وآله^(١)، بل أين أنت من المائة الذي يملك فيعز من يشاء و بذل من يشاء بإذن رب العالمين . كلا إنك لفي ضلال مبين ، وإن إنسانا يظن انحلال معاهد الدين ممكنا أو جائزا ، تعطل العباد عن عبادة الله تعالى ما دامت السموات والأرض لعقله سخيـف وتخيله سقيم ، و هو بأن يهدى أحق من أن يهدي ، و ما يعلم ذلك إلا العالمون الذين صح في توحيد الله تعالى و معرفة حدود اعتقادهم ، و لطف في عبادة الله تعالى و طاعة أوليائه عليهم السلام مكانهم و ارتيادهم ، و أن بقيت فسوف ترى كيف تكون عوائد الله تعالى عند المسلمين كافة في بلادهم شرقا و غربا بما يعمهم من أمر ولي الله سلام الله عليه، ويناالوته من السعادة بعدله و تأييد أحكام الشريعة و التنزيل و التأهيل في دور الرسول صلى الله عليه وآله .

و أما قولك : ما الاسلام و شرائطه ؟

فالاسلام و شرائطه شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله، وأن الجنة حق ، وأن النار حق : وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، الإسلام ، و حلت مناكحته و موارثته و الصلاة عليه إذا مات . وأن يقبر في مقابر المسلمين^(٢) و قولك : و ما الذي يتقرب به إلى العبود ؟ فالعمل الصالح ما توجبه الشريعة و السنة و الاعتقاد الصحيح في توحيد الله تعالى^(٣) و قولك : و ما الذي استعبد الله به الخلق ؟

(١) جاء في رسالة مباسم البشارات: و لا يجب أن يعتقد إذا ظهر في أحد هذه الأيام قوة سماوية و مواد الهيبة أنه صاحب القيامة الكبرى الذي لم يحل وقته و لم يجئ زمانه إذ ذلك لا يكون إلا بعد مضي حدود دور محمد (صلمع) بتمامها و كمالها . فعلى راس ذلك الحد هو آخر الحدود و به تمامية حدود دور النبي محمد (صلمع) تكون القيامة التي حكم النبي (صلمع) بامتداد حسبه و نسبه إليها و سيكون للسـادس عشر و الثامن عشر و الحادي والعشرين إلى تـتمة الحدود شأن من شأن (ورقة ١٠٩ ب من مجموعة رسائل الكرمانى) و نلاحظ بأن الحاكم هو الامام السادس عشر في دور النبي محمد (ص) و اول الأئمة هو الحسن بن علي بن أبي طالب أما على فهم يعتبرونه وصيا . و مرتبة الوصاية عندهم أعلى من مرتبة الإمامة و تلى مرتبة النبوة و لا أدري هذا الشأن الذي تحدث عنه الكرمانى فالتاريخ يحدثنا أن الحاكم و هو السادس عشر كان مضطربا في حكمه . و الإمام الثامن عشر و هو المستنصر بالله بدأت الدولة تضعف في عهده و تلاعبت به أمه ثم الوزراء، و الإمام الحادي والعشرون هو في زعمهم الإمام الطيب ابن الامر . و المؤرخون يقولون إن الامر لم ينجب ولدا بينما يقول الاسماعيلية المستعلية إنه أنجب الطيب الذي استتر و لا يعرف عنه و لا عن نسله شيء إلى الآن . فإين إذن هذا الشأن الذي تحدث عنه الكرمانى. أما عند الاسماعيلية النزارية فلم يظهر لآتهمهم شأن إلا في أيامنا هذه على يد امامهم الثامن و الأربعين و هو محمد الحسينى المعروف بأخان .

(٢) نلاحظ أن الفاطميين يفرقون بين الإسلام و الإيمان . فالإسلام مثله مثل الظاهر و الإيمان مثله مثل الباطن و لا بد من إقامة الإسلام و الإيمان جميعا و التصديق بهما مما و العمل بما يجب العمل به منهما فلا يكون المؤمن مؤمنا حتى يكون مسلما أما الإيمان فهو شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له و أن محمدا عبده ورسوله و أن الجنة حق و النار حق و البعث حق و الساعة آتية لا ريب فيها، و أن الله يبعث من في القبور، و التصديق بأنباء الله ورسله و الأئمة، و معرفة امام الزمان و التصديق به و التسليم لامردو العمل بما اقتضى الله على عباده و العمل به و الانتهاء عما نهى عنه (تأويل دعائم الإسلام ج ١ ص ١٢ نسخة خطية بمكتبتي) فمن ذلك نثبت أن الفرق بين الإسلام و الإيمان في عقيدتهم هو أن الإيمان يزيد عن الإسلام بمرتبة معرفة الامام و ولايته

(٣) التوحيد عند الفاطميين هو هو اصل الدين (جامع الحقائق ج ١ ص ٤٥) و هو أن ينفي عنه جميع ما يليق بمبدعائه التي هي الاعيان الروحانية و مخلوقاته التي هي الصورة الجسمانية من الأسماء و الصفات و الحدود . و يتصور أنه ما كاد يتقدح لأحد فكر فيه جل جلاله إلا و ذلك الفكر مثل المفكر و مصنوع و محدث و أن الله سبحانه صانعهما و محدثهما و لا يناسب شيئا منهما (المجالس المؤيدية في مواضع متفرقة) . و يقول صاحب كنز الولد ص ١٥٩ (نظام توحيد الله ففي الصفات عنه و إقامة حدود) و صرح المؤيد بأن اخلاص التوحيد لا يثبت الا رتبة الوصاية و الإمامة و بها الإبانة عن مقامات الحدود الروحانية و الجسمانية و تنزيه الحق عن صفات هؤلاء الحدود (جامع الحقائق ج ١ ص ١٣) .

فالجنان العالمان اللذان تقع تحتها أنواع العبادات وهما العلم والعمل^(١) و قولك : أهو العلم كله أم جزء من العلم أم أثر من العلم ؟ ففي تقسيمك ذلك إنباء على نفسك بقلة المعرفة ، وأقول في الجواب ، لا أثر ولا جزء ولا علم فقط ولا شيء غيره ، بل علم وعمل .

و قولك : فما بال الأنفس لم تختلف في آثار الطبيعة و علوم الصنائع و اختلفت في آثار الطبيعة لكون الموجودات الطبيعة مدركة بالحواس فلا يقع الاختلاف فيما ذواتها ، وفي آثار الأنبياء عليهم السلام إنما تختلف فيها لكونها غير محسوسة و تتعلق معرفتها ، و الأنفس في ذواتها ما لا تتبع المعلمين من الدعاة المنصوبين من جهة أئمة الحق عليهم السلام في معرفة معالم الدين التي هي آثار الأنبياء عليهم السلام^(٢) فإنها تأبى إلى إتباع المزاجات و المزاجات مختلفة . و بحسب اختلافها تختلف الاعتقادات و الآراء ، و لذلك أوجب الله تعالى طاعة الأئمة و الرسل عليهم السلام ليهدوا الأنفس بأمر الله سبحانه ، و يأخذوها من الضلالة إلى طريق المستقيم في العبادة ، فأعرف ذلك .

و قولك : هل الشريعة محدثة أم قديمة مع الدهر ؟

فالشريعة وجودها باق و واضعها وراسمها ، و ما يكون وجوده بغيره فهو محدث .

و قولك أم قديمة مع الدهر إيجاب أن الدهر قديم فهل من دليل ؟

و قولك : هل الشريعة هي الدين و لا دين غيرها ، أم هي طريق الدين ؟

فللدين معان كثيرة ، و أقربها الطاعة ، و الطاعة لا تكون من الشريعة بل من العامل بها إذا أقام عليها و أدى حقها فيكون طائعاً وديناً .

و قولك : إن كانت الشريعة محدثة فما الدين الذي لم يزل و لا خلف فيه ؟ إيجاب لدين قديم لم يزل ، فهل من دليل ، وإلا فالكل من مرئي و غير مرئي ، و معقول و محسوس و موجود و معدوم محدث ، أحدثه الله الذي لا إله إلا هو الذي يبدعه ظهرت الأشياء كلها على أقسامها ، تعالى الله و تكبر . و قولك ؟ ما النفس ؟ و ما العقل ؟ و ما غاية الابداع الذي فوق الروحانيين و الجسمانيين ؟ فعلم ذلك شريف مثبت في صحف مكرمة ، مرفوعة مطهرة ، بأيدي سفرة ، و كرام بررة . و هو عندنا معشر الدعاة وديعة من جهة أربابها : الرسول صلى الله عليه و الوصي عليه السلام ، و القائم فينا عبد الله ووليه ابن نبيه الإمام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين و أبائهم الأئمة

(١) يصرح الكرمانى أن أنواع العبادات يجمعها العلم والعمل ، و العلم يسمى العبادة الباطنة ، و العمل العبادة الظاهرة . و المقصود بالأولى وجوب التأويل الباطن و الاعتقاد به ، و المقصود بالثانية القيام بفرائض الدين من صوم و صلاة و طهارة و زكاة و حج و جهاد وولاية وهي دعائم الاسلام عند الفاطميين .

(٢) روى الإسماعيلية أن النبي قال -تعلموا من عالم أهل بيتي أو ممن تعلم من عالم أهل بيتي تنجوا من النار- و ذهبوا إلى أن النبي و الأئمة من ذريته هم الذين اقتصوا بعلوم الدين الظاهر منها و الباطن دون غيرهم من البشر . و الأئمة يعلمون الدعاة . و الدعاة يعلمون المستجيبين . و قد ثبت لنا بعد قراءة كتب علماء الدعوة الإسماعيلية أن الحقائق التاريخية تثبت عكس هذا الادعاء . فالدعاة هم الذين وضعوا علوم الدعوة و نسبوها إلى الأئمة (راجع ما كتبناه من ذلك في كتاب ديوان المؤيد في الدين داعي الدعاة ص ٦٢ . و في مقدمه كتاب المجالس المستنصرية ص ٧) .

الظاهرين سلام الله عليه و عليهم أجمعين، على أن تؤديها إلى من استحق ممن أقر بفضلهم ودان الله تعالى بطاعتهم .

و أنت فقد قطعت الأسباب ، و أنكرت الأرياب و صرت في جحودك فضلهم و منزلتهم مستمرا . و على كنودك لهم و كفرك مستقرا، تخل في تفضيلهم بالاعتقاد و الإقرار ، وتستند في بابهم إلى الإنكار ، و متى عاودت طريق العبادة على شرائطها بسطنا لك في علم ذلك و غيره ما ترتع في رياضه بإذن الله تعالى .

و أما قول أصحابك : إن المعبود تعالى هو أمير المؤمنين سلام الله عليه .
فقول كفر تكاد السموات يتفطرن منه و تنشق الأرض و تخر الجبال ، هذا إن دعوا للإله المعبود غيرا، فيا الجسارة على الله حين جعلوا له تعالى شريكا ما أعظمها ، و يالجرأة على الله تعالى حين جعلوا المعبود غيره تعالى ما أفضعها ، و لقد قالوا عظيما و افتروا إثما مبينا ، و إن ذلك إلا كفر محض . فما أمير المؤمنين عليه السلام إلا عبد الله خاضع و له طائع ، يسجد لوجهه الكريم و يعظمه غاية التعظيم ، و باسمه يستفتح ، و عليه في أموره يتوكل ، و أمره إليه يفوض ، و الله تعالى قد فضله على خلقه و جعله من جهة رسوله محمد صلى الله عليه خليفة له في أرضه . و وسيلة لعباده إلى جنته ، و أوجب طاعته على عباده^(١) و هو سلام الله عليه يتبرأ إلى الله تعالى ممن يعتقد ذلك فيه، و كيف يكون معبودا وهو جسم ذو أبعاد مؤلفة ، و نفس ذات قوى مكلفة ، يأكل و يمشي و ينام و يستيقظ و تنطوي عليه الأحوال المتضادة من رضا و سخط و غم و مسرة و سقم و صحة كغيره من البشر^(٢) و هو سلام الله عليه ينفي ما تنسبه أنت و أصحابك إليه عن نفسه . كلا إن المعبود ليس إلا الإله الذي لم يسجد أمير المؤمنين سلام الله عليه ، و يوحد و يسبحه و عن النعوت والصفات يقده ، و له سجد من النبيين و الأوصياء والأئمة المتقين و تابعيهم، و إياه يعبد و له يسجد من يخرج من الكون منهم ما دام عقل و فاض عدل، الذي خلق السموات بأفلاكها و النجوم بأنوارها، والأركان بطبائعها، و المواليد بأجناسها « لا تسجدوا للشمس و القمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون »^(٣) .

و أما قولك و قول أصحابك : إن الشريعة والتنزيل و التأويل خرافات و قشور و حشو و لا تتعلق بها نجاة . و أنهم لا يواجهون وجوههم إلى القبلة لأنها حائط و لا يسجدون إليها!! .

(١) روى القاضي النعمان أن المعز لدين الله قال : إن الله قد فضلنا و شرفنا و اختصنا و اصطفانا و افترض طاعتنا على جميع خلقه و جعلنا أئمة لجميع عباده (المجالس و المسابير ص ٥٨ نسخة خطية بمكتبتي).

(٢) قال المؤيد في الدين : إن أولياء الله من طينة الأرض معجونون و للكون الفساد من حيث أجسامهم مضمونون يسكنهم الشراب و الطعام و تلحقهم الأمراض و الآلام و يقضى عليهم عند استيفاء أيامهم الحمام (جامع الحقائق ج ١ ص ٦١) فالإمام عند الفاطميين لا يختلف عن سائر البشر إلا من جهة نفسه الشريفة التي هي أثر ما يماثلها من الحدود العلوية الشريفة . فاختلف الفاطميون عن الشيعة إلا من جهة ذلك الذين قالوا إن إمامهم محمد بن الحسن العسكري لا يزال حيا . و اختلفوا عن الغلاة الذين ألوهوا الأئمة .

(٣) سورة فصلت ٣٦/٤١

فهو شقاوة تدعو إلى حر النيران، وكفر من عمل الشيطان، وارتداد من الإسلام وخروج من أهل الإيمان، وكيف يكون التنزيل المستنير والتأويل المنير والشريعة الغراء التي هي أسس العبادة، وبها ينال الفوز والسعادة قشوراً وحشواً، ولا تطلب حكمة إلا كانت لها بحراً، ولا يلمس نور ومعرفة إلا كانت في أفقها بدراً، أم كيف تكون كذلك وهي سبب الخيرات الجسمانية ومجمع السعادة النفسانية، ومنبع البركات القدسانية، وبها توطد مهد الأمن والاستقامة، ومن جهتها فاض نور العدل والسلامة، وبسببها عرف الآباء والأمهات، وبشرائعها علم البنون والبنات، وبأحكامها استتب أمر العادات، وبسننها أنحفظ الحريم، وباستعمالها عز الكريم، وبأجلها انسدت أبواب الفتن، وببركتها انطفت نيران الإحـن، وعليها يثاب العامل يوم تبيض وجوه وتسود وجوه، «كلا إن الفجار لفي جحيم»^(١).

وان قولك لقول سقيم، «رينا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب»^(٢) فلولا أسدل أمير المؤمنين عليه السلام ستر الأمن والمنافق والمسلم والكافر حتى استوت الأقدام فيه لكان الجواب عن ذلك التنكيل بك، ثم قطع الوتين منك، وتجريد حد السيف عليك، لكن الأمر لله تعالى، ولوليه عليه السلام «ولا يحسن الذين كفروا أنما نملي لهم خيراً لأنفسهم، إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين، ما كان الله ليجزئ المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب، وما كان الله يطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فأمّنوا بالله ورسوله وإن تؤمنوا وتتنقوا فلکم أجر عظيم»^(٣).

وبعد فاني أنصحك، ومن نكال الدنيا والآخرة أحذرك، وإياك وهذه المقالات الشنيعة فلا تعقبك إلا البعد عن الله تعالى، وعن أوليائه عليهم السلام، ولا تكسبك إلا العاقبة السوء، ورد عنك من تبعك على ضلالتك رداً بالإقرار لهم ببطلان ما ارتكبته وفساد ما أبدعته، ولا يغرنك الإغفال عنك، وتب إلى الله تعالى قبل أن تضيق عليك عرصـة الإمهال، ويثمر لك ما أنت فيه من الضلال، عالماً أن الدنيا وما فيها إلى انقضاء وثور، والإنسان من بينها إلى حشر ونشور، والويل لمن أفنى عمره فيما لا يرضاه الله ولا وليه عليه السلام. فيضل ويفسد، «وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون، ألا أنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون»^(٤) جعلنا الله وجماعة المؤمنين التابعين للحق وأهله من الثابتين على عهده والقائمين بطاعته ووليه، وختم لنا بالحسنى وحفظنا من مصارع الهوى، وحشرنا مع الأئمة الأبرار المتقين في جوار رب العالمين بمنه.

وبعد ذلك تختم الرسالة بالحمد لله رب العالمين وبالصلاة على رسوله محمد سيد المرسلين وخاتم النبيين وبالسـلام على آله الطاهرين، أمير المؤمنين وآبائه الأئمة الهادين ونقول حسبنا الله ونعم الوكيل. وكتب أحمد بن عبد الله ابن محمد الكرمانى وكتبت عنه بأمره في جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعمائة سنة عربية مما نسخت بفسطاط مصر حرسه الله.

هكذا وجدت النسخة الأصلية التي نسخ منها الكتاب.

(٢) سورة آل عمران ٨/٣

(٤) سورة البقرة ١٢/٢، ١٣٠

(١) سورة الانشقاق ١٤/٨٢

(٣) سورة آل عمران ١٧٨/٣، ١٧٩